السيد الشهيد محمد باقر الصدر ومنهجه الإصلاحي
دراسة وتحليل

الدكتور جواد كاظم الشايب
كلية الآداب - جامعة القادسية

تمهيد:

إن المتتبع لسيرة عظماء الأمم وزعماء الشعوب وعباقرة الأقوام يجد أن سر خلودهم كامن في عمق إيمانهم وقوة إرادتهم الحديدية، وفي صدق إخلاصهم وشدة الصبر والمصابرة على مرارة الجهاد في سبيل إعلاء، كلمة الحق وإذلال سلطان الباطل أو في سبيل الكفاح والنضال لإحياء المثل الأخلاقية الصحيحة وتجديد العقائد السليمة، والتراث التاريخي العتيد الذي هو مصدر مفاخر الأمم، ومحفزها إلى الارتقاء والتقدم، وهكذا يعمل قادة الفكر وأئمة الاصلاح في كل وسط ومجتمع سواء منهم صاحب السيف أو القلم أو رب السيف والقلم معا، أو الفيلسوف الحكيم والعالم الرباني العامل لنصرة العقيدة الحقة وإنقاذ المجتمع من الظلمات إلى النور، فهؤلاء القادة القادة البررة قد خلقوا لأداء رسالة الاصلاح كلما تردت المجتمعات البشرية وانطمست معالم الخير فيها، وشاعت شرور الالحاد في صفوف أفرادها، والمتدبر لسيرة الإمام البلاغي "رضوان الله عليه" منذ رفعت عنه تمائمه حتى لحوقه بالرفيق الأعلى، يجدها قد حفلت بألوان عجيبة باهرة بالأعمال المجيدة والمساعي الحميدة لرفع لواء الاصلاح ومنار العلم، وتجديد صرح المعرفة وكشف الحجب التي أسدلتها يد الجهالة المظلمة في عهود الانحطاط على جواهر حقائق الإسلام وقيامه بالدفاع المشكور عن محاسن ويسر الحنيفية السمحة فإنه انعكف منذ عرف نفسه على الكتاب والدرس والاختلاف إلى دور العلم ومجالس العلماء، وندوات الصلحاء حتى إذا استد ساعده، ونضجت مداركه وتوسعت معارفه، وشاع فضله وفواضله في أوساط الفضيلة والفضلاء، وأندية العلم، والعلماء، اتجه بكليته مستضيئا بنور عقله الوهاج، وفكره النير المتوقد، وبقوة

إيمانه وصدق إخلاصه، ومن ثم بغزارة معارفه وآدابه، وجولات قلمه البارع إلى تخليد الغرر والدرر في بطون شتى الرسائل والكتب، وهو من أجل قيامه بأداء رسالته وشغفه بشرف الجهاد في سبيلها وأما إذا جئنا للتاريخ لا لنسجل واقع الأمر خيرا كان أو شرا، ولا لنجس دراستنا في حدود من مناهج البحث العلمي الخالص، ولا لنجمع الاحتمالات والتقديرات التي يجوز افتراضها ليسقط منها على محك البحث ما يسقط ويبقى ما يليق بالتقدير والملاحظة، بل لنستلهم عواطفنا وموروثاتنا ونستمد من وحيها الأخاذ تاريخ أجيالنا السابقة، فليس ذلك تاريخا لاولئك الأشخاص الذين عاشوا على وجه الأرض يوما ما، وكانوا بشرا من البشر تتازعهم ضروب شتى من الشعور والأحساس، وتختلج في ضمائرهم ألوان مختلفة من نوازع الخير ونزعات الشر، بل هو ترجمة لأشخاص عاشوا في ذهننا وطارت بهم نفوسنا إلى الافاق العالية من الخيال. فإذا كنت تريد أن تكون حرا في تفكيرك، ومؤرخا لدينا الناس لا روائيا يستوحي من دنيا ذهنه ما يكتب، فضع عواطفك جانبا أو إذا شئت فاملأ بها شعاب نفسك فهي ملك لا ينازعك فيها أحد، واستثن تفكيرك الذي به تعالج البحث، فإنه لم يعد ملكك بعد أن اضطلعت بمسؤولية التاريخ وأخذت على نفسك أن تكون أمينا ليأتي البحث مستوفيا لشروطه قائما على اسس صحيحة من التفكير والاستنتاج، كثيرة جدا هذه الأسباب التي تحول بين نقاد التاريخ وبين حريتهم فيما ينقدون، وقد اعتاد المؤرخون أو أكثر المؤرخين بتعبير أصح، أن يقتصروا على ضروب معينة من هندسة الحياة التى يؤرخونها، وأن يصوغوا التاريخ صياغة قد يظهر فيها الجمال الفني أحيانا حينما يتوسع الباحث في انطباعاته عن الموضوع، ولكنها صورة باهتة في أكثر الأحايين ليس فيها ما في دنيا الناس التي تصورهم من معاني الحياة وشؤونها المتدفقة بألوان من النشاط، والحركة، والعلمل، وسوف تجد فيما يأتي أمثلة بمقدار ما يتسع له موضوعنا من الزمن الدقيق الذي ندرسه في هذه الفصول أعني الظرف الذي تلا وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقررت فيه المسألة الأساسية في تاريخ الأسلام على شكل لا يتغير، وهي نوع السلطة التي ينبغي أن تتولى امور المسلمين.

المقدمة:

ينتمي الشهيد الصدر الى أعرق العائلات العربية الإسلامية نسبا حيث يعتبر جد الأسرة صالح ال شرف الدين أحد علماء جبل عامل في جنوب لبنان الذي هاجر الى العراق عام 1779م بعد المحنة التي تعرض لها على يد والي عكا الظالم (أحمد باشا) الملقب بالجزار وبذلك عاد الى أرض الأجداد.

وترجع تسمية (الصدر) الى السيد محمد المعروف (صدر الدين) الذي أستقر في مدينة النجف، ومنذ ذلك الوقت أقترن أسم ال الصدر بالجهاد والشهادة ، حيث كان إسماعيل الصدر (جد الإمام الصدر) الملقب (صدر العلماء) الذي أعلن الجهاد المقدس من كربلاء ضد الغزو البريطاني الذي نزل في البصرة (الفاو) في 6 ت2 1914م، وخاصة عندما قلد قائد القوات العثمانية الفريق نور الدين بك سيفا مرصعا بالذهب وهو الآن موجود في ضريح الإمام الحسين (ع) ، كما برز السيد حسن الصدر وهو من علماء الكاظمية، عندما قاد الجهاد من الصحن الكاظمي في 16 رمضان 1914م ضد الاحتلال البريطاني بالبصرة 0

وبرز دور السيد محمد نجل السيد حسن الصدر، عندما وقع الاختيار على النجف من قبل البريطانيين لإجراء الاستفتاء وجاءت نتيجة الاستفتاء معاكسة لتوجهات السياسة البريطانية، وعلى أثرها تحدد مصير معاهدة سايكس بيكو، وتأكيدا للوحدة الإسلامية السنية- الشيعية، خرج أهالي الكاظمية يتقدمهم السيد محمد الصدر والشيخ أحمد الداود (أحد علماء السنة) ضد الاحتلال البريطاني.

وقبل الشروع بالثورة تم تنظيمها وبعد انطلاقها في حزيران 1920م تعرض السيد محمد الصدر للملاحقة، وبرز دوره أكثر عندما عينه المرجع الديني الأعلى محمد تقي الشيرازي مبعوثا عنه الى لواء الدليم (الرمادي) وسامراء لحث السنة على الثورة، وبعد فشل الثورة عسكريا لجأ السيد محمد الصدر الى الحجاز، ثم حث الشريف حسين على تولي نجله الأمير فيصل عرش العراق للتخلص من الانتداب والمعاهدة العراقية-البريطانية، وبعدها عاد الى العراق ومن ثم هاجر الى ايران 1922م وعاد الى العراق عام 1923م وقابل الملك فيصل، وأستقبلت الكاظمية السيد محمد الصدر في 1924/5/30.

أن النشاط المتنامي من ال الصدر قد أثار حفيظة الجاسوسة البريطانية (المس بيل)، فكتبت تقول: (عائلة ال الصدر مشهورة بالعلم الديني أكثر من أية عائلة أخرى في العالم الشيعي كله، وهم معارضون للبريطانيين).

عاش السيد محمد باقر الصدر يتيما منذ طفولته، كما عاش جده رسول الله (ص)، سائرا على خطاه في الجهاد والتضحية، وتولى تربيته ورعايته شقيقه الأكبر (إسماعيل الصدر) الذي كان له الأثر الكبير في نفسيتة، الى جانب ذلك شقيقته الأصغر والوحيدة بنت الهدى التي قدر لها أن تحمل معه أعباء المسؤولية التي نذرت لها حياتها حتى اللحظات الأخيرة من اعدامهما.

هذا البحث يدور حول (السيد الشهيد الصدر ومنهجه الإصلاحي) حيث قسمت بحثي هذا الى ثلاث مباحث، تناولت في المبحث الأول: الإصلاح في صدر الإسلام، حيث تطرقت الى الخلافة والتشيع.

وتناولت في المبحث الثاني: الجانب الإصلاحي عند الشهيد الصدر في فدك في التاريخ، حيث تطرقت الى منهجه، ولمحة موجزه لقضية فدك، وبواعث ومستمسكات الثورة عند الزهراء(ع).

وتناولت في المبحث الثالث: نظرية الشهيد الصدر في الإمام المهدي (ع) وفي إصلاح الحوزات العلمية .

وأنه موضوع مهم لأنه أطلعنا على الدور المتميز في الإصلاح والتجدد، وخاصة في صدر الإسلام وإعطاء منظور تحليلي وجديد في أهم الموضوعات الا وهي الخلافة، ثم الغور في أعماق الشيعة والتشيع، وأهم الموضوعات(فدك) الخلافية وسبر أغوارها والوقوف على الحقائق، ثم الوقوف على أخطر القضايا العقائدية وهي (المهدي (ع)) لرفد إصلاح الحوزات العلمية بما هو جديد.

وسيتم تطوير هذا البحث في خرق المحدودية في الوحدة والإخاء بين المذاهب الاسلامية، بعد فرز الأفكار المتطرفة والوقوف على الدس في المسائل الخلافية بين جميع الطوائف الإسلامية. أما المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، للوصول الى ماكنت أصبوا إليه وبالتالي تحقيق مبتغاها أهما: فدك في التاريخ وفلسفتنا و الشيعة للشهيد الصدر وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد والإمامة والحكومة لمحمد حسين الأنصاري.

وأخيرا أقدم شكري وتقديري الى كل من قدم لي النصح والارشاد أو أعارني كتابا، وأبتهل الى الله العي القدير أن يتقبل عملي هذا، ويؤخذ بيدي الى شاطيء الخير.

الباحث

د . جواد كاظم شايب

المبحث الأول

الإصلاح عند الشهيد الصدر في صدر الإسلام

كلنا نود أن يكون التاريخ الإسلامي في عصره الأول الزاهر طاهرا كل الطهر، بريئا مما يخالط الحياة الإنسانية من مضاعفات الشر ومزالق الهوى، فقد كان عصرا مشعا بالمثاليات الرفيعة، إذ قام على إنشائه أكبر المنشئين للعصور الإنسانية في تاريخ هذا الكوكب على الإطلاق، وارتقت فيه العقيدة الألهية إلى حيث لم ترتق إليه الفكرة الألهية في دنيا الفلسفة والعلم، فقد عكس رسول الله (ص) روحه في روح ذلك العصر، فتأثر بها وطبع بطابعها الإلهي العظيم، بل فنى الصفوة من المحمديين في هذا الطابع فلم يكن لهم اتجاه إلا نحو المبدع الأعظم الذي ظهرت وتألقت منه أنوار الوجود وإليه تسير، كما كان استاذهم الأكبر الذي فنى الوجود المنبسط كله بين عينيه ساعة هبوط الرسالة السماوية عليه. فلم يكن يرى شيئا ولا يسمع صوتا سوى الصوت الإلهي المنبعث من كل صوب وحدب، وفي كل جهة من جهات الوجود، وناحية من نواحي الكون يعلن تقليده الشارة الكبرى.

يقول الشهيد الصدر: إن عصرا تلغى فيه قيمة الفوارق المادية على الإطلاق، ويستوي فيه الحاكم والمحكوم في نظر القانون[1] ومجالات تنفيذه، ويجعل مدار القيمة المعنوية، والكرامة المحترمة فيه تقوى الله[2] التي هي تطهير روحي، وصانية للضمير، وارتفاع بالنفس إلى آفاق من المثالية الرفيعة، ويحرم في عرفه احترام الغني لأنه غني، وإهانة الفقير لأنه فقير، ولا يفرق فيه بين الأشخاص إلا بمقدار الطاقة الإنتاجية (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) [3].

ويتسارع فيه إلى لجهاد لصالح النوعي الإنساني الذي معناه إلغاء مذهب السعادة الشخصية في هذه ا لدنيا، وإخراجها عن حساب الأعمال [4]

ويقول الشهيد الصدر إن العصر الذي تجتمع له كل هذه المفاخر لهو خليق بالتقديس والتبجيل والإعجاب والتقدير، ولكن ماذا أراني دفعت إلى التوسع في أمر لم أكن اريد أن اطيل فيه ؟ وليس لي أن أفرط في جنب الموضوع الذي أحاوله بالتوسع في أمر آخر، ولكنها الحماسة لذلك العصر هي التي دفعتني إلى ذلك، فهو بلا ريب زين العصور في الروحانية والاستقامة [5].

ويتسائل متهكما: أنا أفهم هذا ولكني لا أفهم أن يمنع عن التعمق في الدرس العلمي، أو التمحيص التاريخي لموضوع كموضوعات الساعة التي نتكلم عنها من

مراحل ذلك الزمن، أو يحظر علينا أن نبدأ البحث في مسألة فدك على أساس أن أحد الخصمين كان مخطئا في موقفه بحسب موازين الشريعة ومقاييسها، أو أن نلاحظ أن قصد الخلافة وفكرة السقيفة لم تكن مرتجلة ولا وليدة يومها إذا دلنا على ذ لك سير الحوادث حينذاك، وطبيعة الظروف المحيطة بها. وأكبر الظن أن كثيرا منا ذهب في تعليل مناقب ذلك العصر ومآثره مذهبا جعله يعتقد أن رجالات الزمن الخالي، وبتعبير أوضح تحديدا أن أبا بكر وعمر وأضرابهما الذين هم من موجهي الحياة العامة يومئذ لا يمكن أن يتعرضوا لنقد أو محاكمة، لأنهم بناة ذلك العصر، والواضعون لحياته خطوطها الذهبية، فتاريخهم تاريخ ذلك العصر، وتجريدهم عن شئ من مناقبهم تجريد لذلك العصر عن مثاليته التي يعتقدها فيه كل مسلم[6] .

يلاحظ التقويم الدقيق للحالة الإسلامية في صدر الإسلام، وزمن الخلفاء الراشدين، ومدى التقدير العالي لمناقبي ذلك العصر، ومع ذلك فإن الأمام الشهيد رضوان الله عليه لا يريد أن يقع تحت جاذبية الانبهار والإعجاب بذلك العصر ويغمض النظر عما وقع فيه من مفارقات، تدعو إلى الدراسة والبحث والتحليل والتحقيق وصولا إلى الرأي الأقرب إلى الصواب.

صحيح أن الإسلام في أيام الخليفتين كان مهيمنا، والفتوحات متصلة والحياة متدفقة بمعاني الخير، وجميع نواحيها مزدهرة بالانبعاث الروحي الشامل، واللون القرآني المشع، ولكن هل يمكن أن نقبل أن التفسير الوحيد لهذا وجود الصديق أو الفاروق على كرسي الحكم؟ [7]والجواب المفصل عن هذا السؤال نخرج ببيانه عن حدود الموضوع، ولكنا نعلم أن المسلمين في أيام الخليفتين كانوا في أوج تحمسهم لدينهم، والاستبسال في سبيل عقيدتهم، حتى إن التاريخ سجل لنا (إن شخصا أجاب عمر حينما صعد يوما على المنبر وسأل الناس: لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ - إذن كنا نستتيبك فإن تبت فبلناك، فقال عمر: وإن لم؟ - قال نضرب عنقك الذي فيه عيناك. فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من إذا اعوججنا أقام أودنا) [8]

ويلحظ: أن التقليد والمتابعة في الدراسة والتقويم سواء ما يتعلق بالشخصيات أم بالأحداث التاريخية من دون تحقيق وتدقيق علمي، ما عاد لها وزن، ولا اعتبار في نظر العلم، بالأخص ونحن نعيش في عصر اخضع كل شئ فيه إلى المحاكمة العلمية، والتحقيق العلمي.

ويضع الشهيد الصدر المسلمين بين اثنتين: إحداهما أن نعترف بأن الزهراء قد ادعت بإصرار ما ليس لها بحق في عرف القضاء الإسلامي والنظام الشرعي وإن كان ملكها في واقع الأمر، والأخرى أن نلقي التبعة على الخليفة ونقول إنه قد منعها حقها الذي كان يجب عليه أن يعطيها إياه أو يحكم لها بذلك على فرق علمي بين التعبيرين يتضح في بعض الفصول الاتية، فنتزيه الزهراء عن أن تطلب طلبا لا ترضى به حدود الشرع، والارتفاع بالخليفة عن أن يمنعها حقها الذي تسخو به عليها تلك الحدود لا يجتمعان إلا إذا توافق النقيضان .

وهناك مناظرة جميلة بين الشهيد الصدر ومدرس المدرسة الغربية ببغداد، حين سأله الشهيد: أكانت فاطمة صادقة ؟ قال: نعم، قال: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فد ك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا، وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود) [9].

الخلافة:

يقول الشهيد السعيد في خلافة الإنسان، وشهادة الأنبياء: ما ملخصه: ان الله عز وجل قد جعل الخلافة لادم (ع)، لا بما أنه آدم، بل بما أنه ممثل لكل البشرية ، فخلافة الله في الحقيقة هي للأمة وللبشر أنفسهم ، فقد قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة: اني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: أني أعلم مالا تعلمون)

واستشهد على ذلك أيضا بقوله تعالى: (يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق) وبقوله تعالى: (إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وبقوله تعالى: (ثم جعلناكم خلائف في الأرض) ورتب على ذلك: أنه بعد وفاة النبي (ص)، وفقد الإمام، وتحرر الأمة من الطاغوت، تمارس الأمة دورها في الخلافة الزمنية، ويكون دور المجتهد المرجع هو الشهادة والرقابة على الأمة. وقال ما ملخصه: إن الله هو رب الأرض وخيراتها، ورب الإنسان والحيوان، فالإنسان مستخلف على كل ذلك. ومن هنا كانت الخلافة في القرآن أساسا للحكم. وقد فرع الله الحكم بين الناس على جعل داود خليفة. ولما كانت الجماعة البشرية هي التي

منحت - ممثلة بآدم- هذه الخلافة، فهي إذن المكلفة برعاية الكون، وتدبير أمر الإنسان، والسير بالبشرية في الطريق المرسوم للخلافة الربانية. وهذا يعطي مفهوم الإسلام الأساسي عن الخلافة، وهو أن الله تعالى قد أناب الجماعة البشرية في الحكم، وقيادة الكون واعماره، اجتماعيا وطبيعيا. وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم، وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله. وفي عملية إعداد وتربية الأمة يتولى النبي والإمام مسؤولية الرقابة والشهادة على الأمة، ومسؤولية الخلافة، ليهئ الأمة لتحمل مسؤولياتها في الوقت المناسب. وبعد أن فقد الإمام (ع)، بسبب ظروف معينة تعرضت لها الأمة، فان المرجع - غير المعصوم- لابد وأن يتولى أمر الخلافة والشهادة مادامت الأمة محكومة للطاغوت، ومقصاة عن حقها في الخلافة العامة. (وأما إذا حررت الأمة نفسها، فخط الخلافة ينتقل إليها، فهي التي تمارس الخلافة السياسية والاجتماعية في الأمة، بتطبيق أحكام الله، وعلى أساس الركائز المتقدمة للاستخلاف الرباني. وتمارس الأمة دورها في الخلافة في الإطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين: (وأمرهم شورى بينهم). (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر) [10].. وفي أبطال مبدأ الشورى: حيث يذكر تلميذه السيد كاظم الحائري تلك الخلاصة بقوله: (إننا لا نحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد اعتمد على مبدأ الشورى في تعيين الخليفة من بعده، وذلك لأنه لو كان صلى الله عليه وآله اعتمد عليه، لكان على الرسول صلى الله عليه وآله أن يوضح هذا المبدأ، ولا يمكن أن يكتفي بهذه الآية - ويقصد بها (وأمرهم شورى بينهم) إذ لابد من إيضاح حدود الشورى وشرائطها [11].

التشيع:

إن الإمام الشهيد الصدر (قد) - الذي ينشر له هذا البحث - عالم رباني، وفقيه من أعاظم فقهاء العصر، ومجاهد في سبيل الله ، متفان في سبيل الإسلام الى درجة الاستشهاد. وهو (قد) كان ينبوعا متدفقا من العطاء العلمي الأصيل، فهو إمام فد في الدراسات الأصولية والفقهية، وعبقري نادر في المنطق ومناهج البحث، ومجدد في الفكر الاسلامي لمواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع، وهو بعد ذلك كله قد أسهم باطروحاته، ونظراته، وآرائه الأصيلة في تأصيل المدرسة الإسلامية، وتجديد البحوث الكلامية، وإغناء

المعرفة القرآنية، كما أرسي دعائم منهج علمي رصين في كل ما تناوله قلمه الشريف من موضوعات

إن الدراسة الرائدة التي بين أيدينا حول (قضية التشيع) قد نهج فيها الشهيد الصدر (قد) المنهج العلمي الرصين، وأحكم فيها المنطق النزيه، وسار في خطواتها بعمق الخبير البصير الذي يعرف منذ البداية كيف ينقل القاري خطوة بعد خطوة بما يمليه منطق الحق. لقد تناول الشهيد الصدر هذا الموضوع الخطير فجاء فيه على وجازته بما لم يسبقه إليه، من قوة الحجة ومتانتها، ورصانة العبارة ودقتها، وحسن العرض ولطافته، مع كثرة نكته وإشاراته التي يفطن إليها كل أديب وأريب، ولكنها تغيب عمن لم يمارس هذا النوع من البحوث الكلامية العميقة، ولم يلج ميدان الحجاج والمناظرة، ولم يعالج من قبل النصوص النبوية الشريفة، والوقائع التاريخية. ومع أهمية هذا البحث العميق موضوعا وأسلوبا ومعالجة، إلا أن مما يوسف له أنه لم يخرج إخراجا يليق به، ولم يحظ بالتحقيق والتعليق بما يرشد إلى مظان الشواهد، ويوضح الدليل في موارد الإشارة وينبه الى مواطن الحجة حتى يتجلى فيها للقاري صدق المنطق فيطمئن إلى منطق الصدق [12].. وأخيرا فقد رأيت أن الحق بهذا البحث الأصيل للشيهد الصدر (قد) دراسة علمية أترسم فيها المنهج الرصين نفسه، أعالج فيها أمرا نبهه إليه الشهيد الصدر (رضي الله عنه) ولكنه لم يبسط القول فيه - اعتمادا على ما يظهر - على أنه مما تضافر على نقله الرواة وتداولته كتب السيرة، وذلك هو: الإعداد الفكري والتربوي لإمامة علي (عليه السلام)، وخلافته [13]

جرى بعض الباحثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي، والنظر إلى القطاع الشيعي من جسم الأمة الإسلامية بصفته قطاعا تكون على مر الزمن، نتيجة لأحداث وتطورات اجتماعية معينة، أدت إلى تكوين فكري ومذهبي خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير، ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج، إن هؤلاء الباحثين، بعد أن يفترضوا ذلك، يختلفون في تلك الأحداث والتطورات التي أدت إلى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك[14]

المبحث الثاني

الجانب الإصلاحي عند الشهيد الصدر في فدك في التاريخ

الدراسة الإصلاحية في فدك في التاريخ تعد بحق الفترة التاريخية التي كتبت فيها دراسة رائدة وأصيلة، وذلك لاعتمادها المنهج العلمي الحديث ليس في الاستقصاء و التتبع لحيثيات القضية، ومستنداتها فحسب، بل في عمق التحليل، ورصانة الأسلوب، ودقة المناقشة، وقوة المنطق [15].

إن النظر إلى الدراسات سواء منها التي صدرت في تلك الفترة أي قبل نصف قرن تقريبا أو الفترة اللاحقة فيما يتعلق بمثل هذه الموضوعات الحساسة ، سيتبين منها مدى السبق العلمي والإنجاز التاريخي الذي حققه الأمام الشهيد في دراسته التي بين يديك أيها القارئ العزيز.

ولا غرابة في ذلك فالسيد الشهيد تفجرت عبقريته منذ وقت مبكر ، ثم تطورت مواهبه سريعا ليرفد المكتبة الإسلامية بدراساته المبتكرة في مختلف حقول المعرفة الإنسانية وعلوم الشريعة الإسلامية.

لقد كان الأمام الشهيد الصدر عالما ربانيا ومجتهدا ورعا وعبقريا فذا، وقد أغنى الفكر الإسلامي المعاصر، وأمده بعناصر الحيوية والاستمرار، حتى ليصح القول: إن الأمام الشهيد كان أطروحة الإسلام المتجدد.

يدلك على ذلك أنه قدس سره قد نهض بمسؤوليات ت فكرية وجهادية بما لم ينهض بمثله إلا القائل في تاريخ الإسلام المجيد، إذ كان في جهاد متواصل، وسعي دائب من أجل تحرير وعي الأمة المسلمة من أطروحة الغرب الكافر، وتحرير مستقبلها من هيمنة الاستكبار العالمي وعملائه، حتى توجت حياته الشريفة بالشهادة في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الإسلام.

المنهج:

اعتمد السيد الشهيد في هذا الكتاب (فدك في التاريخ) منهجا علميا حدد معالمه ورأي أنه لابد من اعتماد في مثل هذه الدراسات التاريخية ذات الأبعاد السياسية. ويقوم هذا المنهج على أسس المو ضوعية التي عبر عنها (بالتجرد عن المرتكزات)، والتتبع والاستقصاء والتأمل (الأناة في الحكم) ثم (الحرية في التفكير).

ويعتبر الشهيد الصدر هذه الأمور شروطا أساسية لإقامة بناء تاريخي محكم لقضايا الأسلاف، ترتسم فيه خطوط حياتهم التي عرفوها في أنفسهم، أو عرفها الناس عنهم يومئذ، ثم يرى قدس سره (أن ذلك للبناء ينبغي أن يتسع لتأملا ت شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم يتعرف على لونه التاريخي والاجتماعي، ووزنه في حساب الحياة العامة أو في حساب الحياة الخاصة التي يعنى بها الباحث، وتكون مدارا لبحثه كالحياة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية) إطارها العام، فإن الشهيد ينبه هنا إلى ضرورة (أن تستمد هذه التأملات كيانها النظري من عالم الناس المنظور، لا من عالم تبتدعه العواطف والمرتكزات، وينشئه التعبد والتقليد).

ثم يضع قيدا على مثل تلك التأملات وهو أن لا تستند إلى خيال مجنح يرتفع بالسفاسف إلى الذروة، وتبنى عليها نتائج غير سليمة.

وأخيرا يؤكد السيد الشهيد ضرورة الالتزام بمنطق البحث العلمي لا بما نستلهمه من عواطفنا وموروثاتنا.

ثم ينبه إلى حقيقة خطيرة في حقل الدراسات هي تحول المؤرخ إلى روائي يستوحي من دنيا ذهنه، لا من الوقائع التاريخية.

إن معالم هذا المنهج يكشف عن وعي مبكر وعميق باصول البحث العلمي وشروطه الأساسية. وقد رأيت السيد الشهيد وهو يخوض غمار هذا البحث متسلحا بمنطق العلم، متحمسا لمنطق الحق، مستمسكا بما يهديه إليه منطق الأحداث.

وهو في كل ذلك يستند إلى ما نقله المؤرخون، وما نطقت به الوثيقة التاريخية، ويستنتج وفق الضوابط والأصول المعتبرة.

لمحة موجزة لقضية فدك:

تناول الشهيد الصدر (قضية فدك) بالمنظور الفاطمي أي بأبعادها المتشعبة في جوانب الحياة الإسلامية، وفي آماد الزمان اللاحق، ولذلك اعتبرها أي (قضية فدك) ثورة شاملة، فعرض لخلفية (الحديث) أي ما اعتمل في ذهن الزهراء (سلام الله عليها) من أفكار، وما دار في خلدها من ذكريات عظيمة في حياة أبيها رسول الله (ص)

ثم ها هي تصحو على واقع مؤلم مرير يموج بالمحنة وبالفتنة التي لا تقف عند حدود، فيحفزها ذلك إلى أن تطلق صرختها، وتعلن عن الشروع بالمجابهة، ثم

ينتقل السيد الشهيد إلى الفصل الثاني (فد ك في معناها الحقيقي ومعناها الرمزي) فيعرف بها، ثم ينتقل معها عبر مراحل التاريخ المتعاقبة منذ أن انتزعت من يد الزهراء عليها السلام، إلى آخر ما استقر عليه أمرها في أواخر زمن العباسيين.

ثم يتحول إلى الفصل الثالث الذي عنونه بـ (تاريخ الثورة) فيتحدث عن الثورة ممهدا لها بالكلام على شروط البحث وأسلوب كتابة تاريخ الفرد والأمة مشيدا بعصر صدر الإسلام وما تحقق فيه من إنجازات.

يعرج بعد ذلك إلى كتاب العقاد (فاطمة والفاطميون) فينعى عليه المعالجة المبتسرة لمثل تلك القضية الخطيرة ومحاولته - أي العقاد - حصرها في نطاق ضيق متابعا في مناقشته لها منطق التعبد والتقليد للمتوارث من غير روية أو إعمال فكر.

ثم ينطلق بعد ذلك ليحدد أبعاد (فدك)، بأنها ليست منازعة في أمر محدود وحق مغصوب، بل هو يراها أكبر من ذلك بكثير، قال: (إننا نحس إذا درسنا الواقع التار يخي لمشكلة فدك ومنازعاتها أنها مطبوعا بطابع الثورة التي توفرت بواعثها، ونتبين أن هذه المنازعات كانت في واقعها ودوافعها ثورة على السياسة العليا...). ثم يقدم تبريرا منطقيا لتناوله القضية بكل تلك الأبعاد فيقول: (ادرس ما شئت من المستندات التاريخية الثابتة للمسألة، فهل ترى نزاعا ماديا؟ أو ترى اختلافا حول (فدك) بمعناها المحدود، وواقعها الضيق؟ أو ترى تسابقا على غلات أرض...

كلا، بل هي الثورة على أسس الحكم، والصرخة التي أرادت الزهراء عليها السلام أن تقتلع بها الحجر الأساس الذي بني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة...).

ومن هنا يبدأ السيد الشهيد في رصد الأحداث قبل يوم السقيفة ثم يلاحقها مناقشا، مسلطا الضوء على الزوايا والخفايا سواء فيما يتعلق بالمواقف أو بالشخصيات، مبرزا مواقف الأمام على عليه السلام التي أملتها المصلحة الإسلامية العليا...

ينتقل السيد الشهيد في فصل آخر إلى (الخطاب الفاطمي) فيحلل، ويدين المقاصد والأغراض، وينطلق خلال ذلك ليكشف عن خصائص ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام، تلك الخصائص والميزات التي تؤهله دون غيره لاحتلال المركز القيادي الأول والمرجعية الفكرية والسياسية لأمة الإسلام. ثم يختم الكتاب بفصل عنونه بـ (محكمة الكتاب) ناقش فيه (قضية فدك) مبينا ملا بساتها وحيثياتها،

مثيرا الإشكالات العميقة على مباني القوم في حرمان الزهراء (سلام الله عليها) من حقها الثابت، مستندا في كل ذلك إلى النصوص الثابتة قرآنا وسنة، وإلى ما يقتضيه قانون الشرع ومنطق الحق والأنصاف.

إن قضية فدك في منظور الزهراء (سلام الله عليها) إذن ليست مسألة (نحلة) انتزعت من يدها، لأسباب اختلقتها السلطة أو بررتها، بل إن القضية أخطر من ذلك بكثير، إنها تشكل بادرة خطيرة في حياة الدولة الإسلامية وفي حياة التجربة الإسلامية الوليدة، تلك التجربة وهذه الدولة التي ناضل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نضالا مريرا في سبيل إقامتها على شرعة الحق وميزان العدل، وأراد لها أن تمتد في أقطار الأرض وآماد الزمان .

إن الخطورة تلك تكمن في استعجال (النخبة) التي يفترض أنها المسؤولة عن حماية التجربة، استعجالها للحصول على (المكاسب الآنية)، ومحاولة الاستحواذ على المراكز القيادية بغض النظر عن الأصول المقررة، والنصوص المعتبرة.

وذلك يعني أول ما يعني فتح الباب واسعا أمام أصحاب المطامع والنهازين، أو على حد تعبير ا م المؤمنين عائشة: (إن الخلافة -حينئذ- سينالها البر والفاجر).

ولذلك فإن تصدي الزهراء (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة، إنما كان للحيلولة دون تحقق النتائج الخطيرة والمتوقعة.

ومن هنا كان الهدف في (إثارة فدك) بأبعادها الشمولية وتبصير الأمة قيادات وأفرادا وجماهير بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتجاه، وقد صرحت الزهراء (سلام الله عليها) بذلك قائلة: (ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا... هنا ك يخسر المبطلون)

في ضوء ذل كله يمكن فهم الحماس الذي يبديه السيد الشهيد ، والتأثير البالغ الذي يعتمل في داخله، إذ هو يحلل ويناقش ويستنتج (بالمنظور الفاطمي) وبدافع الحرص على نقاء الإسلام.

لقد كان السيد الشهيد في طول البحث (يترضى) على الصحابة ويقدر مآثرهم في دنيا الإسلام، ولكنه لا يغمض النظر عن موارد الخلل، ومواطن الزلل في مسيرة القوم، ولا نرى أن هناك تقاطعا، إ ذ أن الأكثر أهمية، والأولى بالمراعاة هو سلامة التجربة الإسلامية وأصالتها ونقاؤها.

ثم لو أراد البعض أن يتأول - ولا مانع من التأويل- إلا أنه غير ملزم لنا فضلا عن كونه خلاف الواقع، ولنتذكر على سبيل المثال هنا قول الخليفة الثاني بشأن

خالد بن الوليد في قضية مالك بن نويرة، قال الخليفة عمر بن الخطاب لأبي بكر: (إن خالدا قتل امرءا مسلما ونزا على امرأته...) على حد تعبير الطبري فتأول الخليفة الأول لخالد ذلك الفعل، إلا أن ذلك التأويل لم يحقق القناعة عند الخليفة عمر، وأضمرها في نفسه ثم تصرف لا حقا استنادا إلى (الواقعة)، نفسها فعزل خالدا حالما تسلم الحكم.

إذن نحن غير ملزمين بقبول كل تأويل على أن تأشير الخطأ، وتسجيل الوقائع، واستنطاقها لا شك أمر يجنبنا النتائج الوخيمة، وهو بالتالي يصب في صالح خدمة مسيرة الأمة الإسلامية وأصالة الإسلام.

وهذا ما كان يهدف إليه الأمام الشهيد من دراسته القيمة، وذلك هو الذي حفزنا إلى القيام بالتحقيق العلمي لهذه الدراسة، وقد ظهر لنا أن كل إشارة وردت، أو قول أو تحليل أو استنتاج، إنما يستند إلى منطق الأحداث، وإلى المصادر الموثوقة، والوقائع المشهورد، وسيرة القوم.

قالت الزهراء(ع): فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون [16].

يصور الشهيد الصدر وقفة فاطمة(ع) أمام أبي بكر وقفة لا يخالجها شك فيما تقدم عليه، ولا يطفح عليها موقفها الرهيب بصبابة من خوف أو ذعر، ولا يمر على خيالها الذي كان جديا كلم الجد، تردد في تصميمها، ولا تساورها هاجسة من هواجس القلق والارتباك، وها هي الآن في أعلى القمة من استعدادها النبيل، وثباتها الشجاع على خطتها الطموح، وأسلوبها الدفاعي، فقد كانت بين بابين لا يتسعان لتردد طويل، ودرس عريض، فلا بد لها من اختيار أحدهما وقد اختارت الطريق الصعب من الطريقين الذي يشق سلوكه على المرأة بطبيعتها الضعيفة لما يكتنفه من شدائد ومصاعب تتطلب جرأة أدبية، وملكة بيانية مؤثرة، وقدرة على صب معاني الثورة كلها في كلمات وبراعة وفنية في تصوير النقمة، ونقد الأوضاع القائمة تصويرا ونقدا يجعلان في الألفاظ معنى من حياة، وحظا من خلود ، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة، وسندها الخالد في تاريخ العقيدة، ولكنه الأيمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها، ويفجر في الطبائع المخذولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد [17].

كان اختيار الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها، ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق، والاندفاع في سبيله، وكانت حولها نسوة متعددات

من حفدتها ونساء قومها كالنجوم المتناثرة يلتفون بها بغير انتظام، وهن جميعا سواسية في هذا الاندفاع، وقائد تهن بينهن تستعرض ما ستقدم عليه من وثبة كريمة تهيئ لها العدة والذخيرة، وهي كلما استرسلت في استعراضها ازدادت رباطة جأش، وقوة جنان، وتضاعفت قوة الحق التي تعمل في نفسها، واشتدت صلابة في الحركة، وانبعاثا نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة، ونشاطا في الاندفاع، وبسالة في الموقف الرهيب، كأنها قد استعارت في لحظتها هذه قلب رجلها العظيم، لتواجه به ظروفها ا لقاسية وما حاكت لها يد القدر. أستغفر الله بل ما قدر لها المقدر الحكيم من مأساة مرؤعة تهد الجبل وتزلزل الصعب الشامخ.

ويصف السيد الشهيد حال الزهراء(ع) بذلك الوصف الرائع حيث يقول: كانت في لحظتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شبحا قائما ترتسم عليه سحابة حزن مرير، وهي شاحبة اللون، عابسة الوجه، مفجوعة القلب، كاسفة البال، منهدة العمد، ضعيفة الجانب، مائعة الجسم، وفي صميم نفسها، وعميق فكرها، المتأملة إشعاعة بهجة، وإثارة طمأنينة، وليس هذا ولا ذاك استعذابا لأمل باسم، أو سكونا إلى حلم لذيذ، أو استقبالا لنتيجة حسنة مترقبة، بل كانت الأشعاعة إشعاعة رضا بالفكرة، والاستبشار بالثورة، وكانت الطمأنينة ثقة بنجاح، لا هذا الذي نفيناه بل على وجه آخر، وإن في بعض الفشل الآجل إيجابا لنجاج عظيم وكذلك وقع، فقد قامت امة برمتها تقدس هذه الثورة الثائرة بل تستمد منها ثباتها واستبسالها في هذا الثبات.

ودفعتها أفكارها في وقفتها تلك إلى الماضي القريب يوم كانت موجهات السعادة تلعب بحياتها السعيدة، ويوم كان نفس أبيها يصعد، ونسمه يهبط، وكان بيتها قطب الدولة العتيد، ودعامة المجد الراسخة المهيمنة على الزمن الخاشع المطيع. ولعل أفكارها هذه ساقتها إلى تصور أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضمها إلى صدره الرحيب، ويحوطها بحنانه العبقري، ويطبع على فمها الطاهر قبلاته التي اعتادتها منه، وكانت غذاءها صباحا ومساء، ثم وصلت إلى حيث بلغت سلسلة الزمن، فيواجهها الواقع العابس وإذا بالزمان غير الزمان وها هو بيتها مشكاة النور ورمز النبوة والأشعاعة المتألقة المحلقة بالسماء، مهدد بين الفينة والفينة، وما هو ابن عمها الرجل الثاني في دنيا الإسلام باب علم النبوة [18]، ووزيرها المخلص [19]، وهارونها [20]، فهو ناصرها في البداية، وأملها الكبير في النهاية، يخسر أخيرا خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقوض معنوياته النورية التي شهدت لها السماء والأرض جميعا، وتسقط سوا بقه الفذة عن

الاعتبار ببعض المقاييس التي تم اصطلاحها في تلك الأحايين. وهنا بكت بكاء شقيا ما شاء الله لها أن تبكي، ولم يكن بكاء بمعناه الذي يظهر على الأسارير، ويخيم على المظاهر، ت بل كان لوعة الضمير، وارتباع النفس، وانتفاضة الحسرات في أعماق القلب، وختمت طوافها الأليم هذا بعبرتين ندتا من مقلتيها. ثم لم تطل وقفتها، بل اندفعت كالشرارة الملتهبة وحولها صويحباتها حتى وصلت إلى ميان الصراح، فوقفت وقفتها الخالدة، وأثارث حربها التي استعملت فيها ما يمكن مباشرته للمرأة في الأسلام، وكادت ثورتها البكر أن تلتهم الخلافة لولا أن عاكسها شذوذ الظرف، وتناثرت أمامها العقبات [21].

هناك تصوير رائع لأجواء الحدث: تلك هي الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله (ص) ريحانة النبوة، ومثال العصمة، وهالة النور المشعة، وبقية الرسول بين المسلمين - في طريقها إلى المسجد - وقد خسر ت أبوة في أزهى الابوات في تاريخ الأنسان، وأفيضها حنانا، وأكثرها إشفاقا، وأوفرها بركة، وهذه كارثة من شأنها أن تذيق المصاب بها مرارة الموت أو أن تظهر له الموت حلو اشهيا، وأملا نيرا، وهكذا كانت الزهراء حينما لحق أبوها بالرفيق الأعلى، وطارت روحه الفرد إلى جنان ربها راضية مرضية، ثم لم تقف الحوادث المرة عند هذا الحد الرهيب، بل عرضت الزهراء لخطب آخر قد لا يقل تأثيرا في نفسها الطهور، وإيقادا لحزنها، وإذ كاء لأساها عن الفاجعة الاولى كثيرا وهو خسارة المجد الذي سجلته السماء لبيت النبوة على طول التاريخ، وأعني بهذا المجد العظيم سيادة الامة وزعامتها الكبرى، فقد كان من تشريعات السماء أن يسوس آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم امته وشيعته، لأنهم مشتقاته ومصغراته، وإذا بالتقدير المعاكس يصرف مراكز الزعامة عن أهلها، ومناصب الحكم عن أصحابها [22]

بواعث الثورة:

قال الشهيد الصدر: إننا ندرك بوضوح، ونحن نلاحظ الظرف التاريخي الذي حف بالحركة الفاطمية، أن البيت الهاشمي المفجوع بعميده الأكبر قد توفرت له كل بواعث الثورة على الأوضاع القائمة، والانبعاث نحو وتغييرها وإنشائها إنشاء جديدا، وأن الزهراء قد اجتمعت لها كل إمكانيات الثورة ومؤهلات المعارضة التي قرر المعارضو ن أن تكون منازعة سلمية مهما كلف الأمر [23]

يعتقد كان هناك إصرار عجيب من الأمام علي عليه السلام على أن تكون المعارضة سلمية لا تتعدى حدود الاحتجاج وقطع الأعذار، ولو كلف ذلك أن يجر

ابن أبي طالب ويسحب من بيته سحبا للمبايعة، أو أن يتعرض البيت الطاهر إلى التهديد بالأحراق. ويلاحظ هنا أن الأمام عليا عليه السلام عندما جاء، أبو سفيان، وقال له: لو شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجالا، نهره الأمام عليه السلام ورفض مبادرته [24].

وإننا نحس أيضا إذا درسنا الواقع التاريخي لمشكلة فدك ومنازعاتها بأنها مطبوعة بطابع تلك الثورة، ونتبين بجلاء أن هذه المنازعات كانت في واقعها ودوافعها ثورة على السياسة العليا وألوانها التي بدت للزهراء بعيدة عما تألفه من ضروب الحكم، ولم تكن حقا منازعة في شئ من شؤون السياسة المالية، والمناهج الاقتصادية التي سارت عليها خلافة الشورى، وإن بدت على هذا الشكل في بعض الأحايين، وإذا أردنا أن نمسك بخيوط الثورة الفاطمية من اصولها، أو ما يصح أن يعتبر من اصولها، فعلينا أن ننظر نظره شاملة عميقة لنتبين حادثتين متقاربتين في تاريخ الأسلام، كان أحدهما صدى للاخر وانعكاسا طبيعيا له، وكانا معا يمتدان بجذور هما وخيوطهما الاولى إلى حيث قد يلتقي أحد هما بالاخر أو بتعبير أصح إلى النقطة المستعدة في طبيعتها إلى أن تمتد منها خيوط الحادثتين.

أحدهما: الثورة الفاطمية على الخليفة الأول التي كادت أن تزعزع كيانه السياسي، وترمي بخلافته بين مهملات التاريخ.

والاخر: موقف ينعكس فيه الأمر فتقف عائشة ام المؤمنين [25] بنت الخليفة الموتور في وجه علي زوج الصديقة الثائرة على أبيها. وقد شاء القدر لكلتا الثائرتين أن تفشلا مع فارق بينهما مرده إلى نصيب كل منهما من الرضا بثورتها، والاطمئنان الضميري إلى صوابها وحظ كل منهما من الانتصار في حساب الحق الذي لا التواء فيه وهو أن الزهراء فشلت بعد أن جعلت الخليفة يبكي ويقول: أقيلوني [26]بيعتي، والسيدة عائشة فشلت فصارت تتمنى أنها لم تخرج إلى حرب [27]ولم تشق عصا طاعة، هاتان الثورتان متقاربتان في الموضوع والأشخاص فلماذا لا تنتهيان إلى أسباب متقاربة وبواعث متشابهة.

مستمسكات الثورة:

ارتفعت الزهراء بأجنحة من خيالها المطهر إلى آفاق حياتها الماضية ودنيا أبيها العظيم التي استحالت حين لحق سيد البشر بربه إلى ذكرى في نفس الحوراء متألقة بالنور، تمد الزهراء في كل حين بألوا ن من الشور والعاطفة والتوجيه، وتشيع في نفسها ضروبا من البهجة والنعيم، فهي وإن كانت قد تأخرت عن أبيها

في حساب الزمن أياما أو شهورا، ولكنها لم تنفصل عنه في حساب الروح والذكرى لحظة واحدة. وإذن ففي جنبيها معين من القوة لا ينضب، وطاقة على ثورة كاسحة لا تخمد، وأضواء من نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونفس محمد تنير لها الطريق، وتهديها سواء السبيل. وتجردت الزهراء في اللحظة التي اختمرت فيها ثورة نفسها عن دنيا الناس، واتجهت بمشاعرها إلى تلك الذكرى الحية في نفسها لتستمد منها قبسأ من نور في موقفها العصيب، وصارت تنادي: إلي يا صور السعادة التي أفقت منها على شقاء لا يصطبر عليه...

لبيك لبيك يا اماه إني أسمع صوتك في أعماق روحي يدفعني إلى مقاومة الحاكمين. فسوف أذهب إلى أبي بكر لأقول له: (لقد جئت شيئا فريا، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة[28]

وهناك تنضير جميل عن النسوة التي كانت مع الزهراء(ع): وتدلنا الرواية على أن على الزهراء كانت تصحب معها نسوة من قومها وحفدتها، ومرد هذه الصحبة وهو تنبيه الناس، وكسب التفاتهم باجتيازها في الطريق مع تلك على ما تريده، وتعزم عليه من قول أو فعل، وبهذا تكون المحاكمة علنية تعيها أسماع عامة المسلمين في ذلك الوسط المضطرب.

وسبق أن الرواية التاريخية جاءت تنص على أن الزهراء لم تكن لتخرم في مشيتها مشية أبيها صلى الله عليه وآله وسلم. ويتسع لنا المجال لفلسفة هذا التقليد الدقيق، فلعله كان طبيعة قد جرت عليها في موقفها هذا بلا تكلف ولا اعتناء خاص، ولى هذا ببعيد فإنها (صلوات الله عليها) قد اعتادت أن تقلد أباها وتحاكيه في سائر أفعالها وأقوالها، ويحتمل أن يكون لهذه المشابهة المتقنة وجه آخر بأن كانت الحوراء قد عمدت في موقفها يو مذاك إلى تقليد أبيها في مشيه عن التفات وقصد فأحكمت التمثيل، وأجادت المحاكاة، فلم تكن لتخرم مشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأرادت بهذا أن تستولي على المشاعر وإحساس الناس، وعواطف الجمهور بهذا التقليد البا هر الذي يدفع بأفكار هم إلى سفر تصير، وتجول لذيذ في الماضي القريب حيث عهد النبوة المقدس، والأيام الضواحك التي قضوها تحت ظلال نبيهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون في إرهاف هذه الأحساسات وصقلها صقلا عاطفيا ما يمهد للزهراء الشروع في مقصودها،

ويوطئ القلوب لتقبل دعوتها الصارخة، واستجابة استنقاذها الحزين، ونجاح محاولتها اليائسة أو شبه اليائسة.

ولذا ترى أن الراوي نفسه أثرت عليه هذه الناحية أيضا من حيث يشعر أو لا يشعر، ودفعه تأثره هذا إلى تسجيلها فيما سجل من تصوير الحركة الفاطمية: صرخة باركتها الزهراء، ورعتها السماء فكانت عند اندلاعها محط الثقل الذي تركز عنده الحق المذبوح، والمحاولة اليائسة التي شاعت حولها ابتسامات أمل استحالت بعد انتهائها إلى عبوس مرير، ويأس ثابت، واستسلام فرضته حياة الناس الواقعة يومذاك.

ثورة لم تكن لتقصد بها الثائرة نتيجة لها على ما يطرد في الثورات الاخرى بقدر ما كانت تهدف إلى تثبيت الثورة لذاتها، وتسجيلها فيما يسجله التاريخ في سطوره البارزة، فكانت الثورة على هذا بنفسها تؤدي الغرض كاملا غير منقوص، وهذا ما وقع بالفعل وبه نفسر الحكم بنجاحها وإن فشلت كما سنوضحه في موقع آخر من هذا الكتاب [29].

فدك بمعناها الحقيقي والرمزي:

فدك: قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي أرض يهودية في مطع تاريخها المأثور وكان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها وابتدأ بذلك تاريخها الأسلامي، فكانت ملكا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها لابنته الزهراء، وبقيت عندها حتى توفي أبوها صلى الله عليه وآله وسلم فانتزعها الخليفة الأول - على حد تعبير صاحب الصواعق المحرقة[30] وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يو مذاك، حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكا إلى ورثة [31] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت فدك عند آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم على ما قيل [32]، ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرح عنها بشئ. ولكن الشئ الثابت هو أن أمير المؤمنين عليا انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان - كسائر ما نهبه بنو امية في أيام خليفتهم.

المبحث الثالث
نظرية الشهيد الصدر في الإمام المهدي(ع)

عالم متبحر وشخصية لامعة يعتز بها الفكر المعاصر وهو في كتبه وأبحاثه ومقالاته يتميز بالموضوعية البعيدة عن التحيز والانطواء تحت لواء العاطفة والمصالح الشخصية لذلك جاءت أبحاثه في كل ما كتب أشبه بالقيم الفكرية إن صح هذا التعبير وهو من العلماء القائل الذين يجمعون في أسلوبهم بين دعامتي الاصالة في التعبير: (1) التصوير الفنى (ب) الاسلوب العلمي القريرى وهو حين يكتب في موضوع خطير كالمهدى فأنما يضيف رصيدا جديدا لذا المبحث الجليل لانه موضوع المهدى في حساب العقيدة في مجال الغيات والسمعيات شأنه شأن ذلك، شأن نزول عيسى وخروج الدجال وظهور الدابة وغيرها من القضايا التى لا تعالج فكرتها باستخدام التجارب المحسوسة في معامل الطبيعة (مختبرات الكيمياء وإنما تخضع للون آخر من البراهين يتفق مع طبيعتها الروحي، أو بمعنى آخر تعتمد في البرهنة عليها على التجربة الروحية إن صح هذا التعبير وإذا استثنينا الصدر الاول من الاسلام وهو ما يقابل آخر القرن الثالث الهجرى انقسم رجال الفكر من هذه القضية إلى قريقين: قريق يؤمن إيمانا جازما بخروج المهدى رائدهم في ذلك التسليم بما جاءت أحاديث المغيبات وما أثر عنه صلوات الله عليه من قضايا سمعية وهو الصادق الامين الذى لا ينطق عن الهوى وهذا الفريق - هو الكثيرة الكاثرة من الامة- في غناء عن الهروع إلى الادلة والبراهين لاثبات موضوع المهدى -ذلك لان الايمان بلغ من قلوب أفراده درجة التصديق- وعلى المدى العميق الذى فيه يصدق الانسان المؤمن بالمغيبات وكأنها ماثلة أمامه عيانا وهذا الموقف العقدى يهبه فيهبه الله من يشاء من أمة سيد الانبياء وهم الذين عرفهم الله وميزهم على سائر الامم بقوله لم تعط أمة من اليقين ما أعطيت أمتى وفريق آخر -وهم قلة والحمد لله- أشبه بمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وأمثال هؤلاء يريدون أن يقيسوا أمور الدين قياسا محدودا بمنطق عقولهم، وكأن المعتقدات السمعية وسائر المغيبات تقاس على غيرها من الامور الكونية، فلا يصدقون إلا بما أثبتته التجربة في المعمل ويكذبون بما عدا ذلك ونحن لا نستطيع ان ننعت هؤلاء بالجهل فإن منهم المثقفين بل والمتخصصين في النقافات المختلفة، كما لا نستطيع أن ننعتهم بالغباء فإن منهم الاذكياء والنوابغ، ولكن أمثالهم - ما أخالهم إلا كما عبر الحديث النبوى: اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وإن ما

بلغوه من ذكاء وحصلوه من علم وتجربة لا يجدى فتيلا لانهم لا ينعمون بالعقل المدبر، أو العقل القادر على حل قضايا الفكر ومشكلات الحياة، وهو لعقل الذى أميل إلى تشخيصته بالعقل الشرعي الذى وهبه الله الفاعلية والقدرة على التوفيق بين المنقول والمعقول ومن ثم وقف هؤلاء - مهما بلغوا من تخصص في معارفهم - عند المستوى لذى وقف فيه الفلاسفة الماديون فحرموا بسبب ذلك نعمة الاعتقاد هذه الخارقة وخوارق الدين ومن ثم كان (العقل الفلسفي) عاجزا عن تحقيق هذه المدارك الروحية على حين ارتقى إليها (العقل الشرعي) كما أو ضحنا وفي العصر الحديث عظمت هذه البلبة وتفاقم خطبها حين بهر الناس بتقدم العلوم الطبيعية، وشاهدوا ما حققه علماء الطبيعة من خطوات كثيرة نحو كشف المجهول من أسرار الكون، وما بلغه العلماء الماديون من تطوير في وسائل العلوم المختلفة حين ظهر تطبيقها واضحا في المجالات التكنولوجية بحيث وصل الانسان إلى مستوى يستطيع فيه تحقيق كل مطالبه الحيوية ويصل إلى ما يريد من مرافق المعيشة في سهولة ويسر لا تكلفه شيئا أكثر من الضغط على أزرار معينة تكفل له كل ما يريد في السلم أو في الحرب ومن ثم انعكست هذه المعايشة العلوم الطبيعية في البيت والمصنع والشارع وظهر أثرها في عقيدة الانسان المعاصر في صورة الشك القاتل في كل ما سوى الماديات: وتسرب إلى نفسه وقلبه الذى لم ينعم بنعمة اليقين فأنكر مثل هذه الخوارق وكفر بكل ما يماثلها من معجزات وهكذا أصبح الحديث عن المغيبات والسمعيات التى جاء ذكر بعضها، في القرآن وذكر بعضها الاخر في السنة السمحاء من القضايا الفكرية التى يصعب على العالم مهما بلغ من تخصص وتحصيل من موسوعية أن يطويها في نفوس هؤلاء القلة من المعاصرين لقد أجمع القدماء من شقى هده الامة (السنة والشيعة) على حقيقة المهدى وأنه من بيت النبوة، وأنه من آل الحسين، وأن الله يصلحه في يوم أو ليلة، وأنه يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وأنه يحكم الارض سبع سنوات أو تسع سنوات -على اختلاف في الرواية- وأنه يقود الناس إلى السعادة بعد أن عمهم الشقاء وأنه يستقبل نزول عيسى بن مريم، وأن عيسى يصلى خلفه، إلى آخر ما جاء من نعوته التى أشارت إليها أحاديث المغيبات، وقد بلغت نحو تسعة وثلاتين حديثا عند السنة وقاربت الثلاثمائة حديث عند الأمامية[33]

فالاجماع في وجود المهدى وفي خروجه حين تتأزم الحياة وتضطرب أحوال العباد لا شك فيه عند الفريقين إلا أن الامامية يرونه اختفى بعد سئوات معدودة من

مولده المبارك من والده أبى الحسن العسكري سلام الله عليه وأهل السنة لا يشكون في حقيقة المهدى، غاية ما في الامر أنهم يعتقدون أن الله يخلقه في زمانه قبيل الساعة ويظهر على يديه هذه الخوارق في الاحاديث المروية عنه ولعل النص على أنه محمد المهدى ابن الامام الحسن العسكري هو الذى حمل السيد الصدر، أن يتخذ من المنهج العلمي طريقا يسلكه ليثيت لقارئ المسلم -هما اختلف مذهبه ومعتقده- أن هذا الاعتقاد لا يتعارض مع الجائز عقلا ولا يتعارض مع الجائز علما، وإن تعارض مع الجائز عادة وحيث كان الامر كذلك فطريق الاستدلال على وجوده وحياته منذ القرن الثالث الهجرى إلى اليوم ليس من الامور التى يرتضيها عقل الإنسان ولا سيما من الناحيتين الفلسفية والعلمية، وإن كان ذلك يصعب استساغته من الوجهة العلمية فالخلاف بين السادة السنة الامامية ليس خلافا على جوهر القضية من حيث كونه من أشراط الساعة، ومن حيث أن الله يصلح به فساد الامة بعد طول المعاناة والاضطهاد الذى يعتصر المسلمين اعتصارا ولا سيما أصحاب المنهج المثالي الذين اقتبسوا من آل البيت أخلاقهم وسلوكهم وتأدبوا بآدابهم في إيثار المثل المحمدية والقيم الاسلامية على الفلسفات الواقعية المادية التى يؤثر فيها الافراد مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة للامة فهذه المعاني المتجسدة في شخصية المهدى من الامور المتفق عليها بين الفريقين العظيمين، متواترة عن الراسخين في العلم من سائر المذاهب الاسلامية: سياسية كانت أو فقهية ولو حاولنا أن نحصى أقول الثقات وهم أهل اليقين في نظرنا - لخرجنا عن الخط الذى أردناه من كتابة هذا التقديم ويكفى أن نذكر من هؤلاء الراسخين المجلسي والطوسي من الجعفرية، والأسفرائينى من الحنابلة، والشوكانى من الزيدية، وصديق حسن خان، ومحمد ابن الحسين الابرى، وهؤلاء جميعا إنما ينتمون في علمهم بشخصية الامام المهدى إلى ما انتهى إليه أئمة الاجتهاد المطلق من أصحاب المذاهب الفقهية الثمانية وفي مقدمتهم الخمسة المعتمدون قبل غيرهم: وهم الإمام الصادق وتلميذاه مالك وأبو حنيفة، فالشافعى فأحمد بن حنبل وكذلك بقية المذاهب الثمانية وهم: الزيدية المنسوبون إلى الامام زيد، والاباضية المنسوبون إلى أباض، والظاهرية المنسوبون إلى داود الظاهر، فإننا لا نعرف قولا لأحد هؤلاء الثلاثة ينكر فيه هذه الحقيقة من المغيبات والسمعيات حتى هؤلاء الذين تطرفوا في مباحثهم الفقهية كالخوارج وابن حزم وابن تيمية وابن عبد الوهاب يجمعون على القول به، وكل واحد من هؤلاء يعتبر

في نظرنا (مجتهد مذهب) وإن كانوا لا يقاسون بالطبقة الاولى من أهل الاجتهاد المطلق ويبقى الخلاف في قضية شكلية للغاية لا أحسبها مصدر خلاف حقيقي من فريقي السنة والشيعة (فالسنة) يرون أن الله يخلق المهدى في أوانه وفي آخر الزمان حين تشتد الازمات وتبليغ القلوب الحناجر وأنه من بيت النبوة من ولد فاطمة وأنه من الاشراط الكبرى للساعة كما نص على ذلك الحديث الشريف (والشيعة الامامية) يرون أنه هو - الامام محمد بن الحسن العسكري الذى دخل السرداب في سر من رأى عام 255 وأن الله سيخرجه في آخر الزمان ليحكم بين الناس على النهج الاسمى الذى سار عليه على وابناه سلام الله عليهم فهذه الخلافات تعتبر شكلية في نظرنا، لان خارقة المهدى ليست محصورة في كونه يعيش ألفا وثلاثمائة عام فقط بل الخارقة العظمى هو انقياد أهل الثقلين له وإذعانهم له بالاتباع والسير على منهجه ومثله وقيمه الموروثه عن النبي والائمة الهادين المهديين من آله ولعل العقيدة التى أخذ بها الامامية أدل في هذا المقام على خارقة المهدى وأعمق في الدلالة على كرامته ومنزلته في هذه الامة لكن هذا الاعتقاد في الصورة الثانية لا يرفع أحد الطرفين على الاخر المقياس الذى تقاس به العقيدة هنا تنحصر في جوهر الخارقة وفي الرسالة التى يؤهله الله لها والعلامة محمد باقر الصدر حين نظر إلى هذه الخارقة من وجهها الثاني إنما يريد أن ينظر إليها من جميع أبعادها الجوهرية والشكلية الدالة على جلال صاحبها ولما كان هذا الامر من الامور المتعلقة بالقضايا الروحية العقدية فإن الاخذ في البرهنة عليه يعتبر من أشع الامور حتى على الراسخين في العلم وأعنى بكلمة الرهنة في هذا الصدد (البرهنة العلمية) التى تقنع المفكرين المعاصرين ولا سيما الواقعيين والتجريبيين والبراجماسيين وسائر المنطوين تحت لواء الفلسفة المادية وقد استطاع سيادته بمهارة العالم الاصيل الذى جمع الله له بين الاستعداد والاداة [34]

وحين تعرض مدى العمر الذى بلغه الإمام المهدى من لدن القرن الثالث الهجرى إلى هذا العصر وأوضح أن هذا التصور لئن كان مما ينكره الواقع، فإنه من الناحية الفلسفية يعتبر جائز الوقوع ولئن كان العلم يأبى هذا التصور لهذه الحياة الممتدة نحو الالف والثلاثمائة عام - إلا أنه ليس من المستحيل علميا أن تكون هناك حالات شاذة تتغلب فيها الخلايا الحية على عوامل الهدم والفناء عامل أقول: وقد دلت تجارب علماء الأحياء وما يقومون بإجرائه على بعض الحيوانات من إطالة أعمار بعضها ما يدل على أن الفروض التى ذهب إليها العلامة الصدر فروض علمية وممكنة الوقوع في نظر (العلم) لكن هذا المعنى الجميل الذى حقق فيه هذا النجح من

إقناع المنكرين وخصوم الدين له دون شك - كما أعتقد - ما يؤيده في مجال (المنقول) فقد جاء في الاحاديث المتواترة عن سيد الانبياء قوله: (لتتبعنا سنن من قلبكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) والمقصود - في نظرنا- من هذا الحديث أن أمنه عليه السلام تلخيص لكل ما مرت به الامم السالفة من حيث المعجزات والخوارق - وليس كما يظن البعض أن الحديث مقصور على الاثام والابتلاء بدليل أن أمنه لم يحدث فيها خسف ولا فسخ إحقاقا لكرامته عند الله وبذلك يتعين أن المقصود هو ما جرى في الامم السالفة من خوارق كقصة أهل الكهف وقصة العزير وإذا كان العزير مات وحماره إلى جواره مائة عام ثم أحياه الله تعالى وأحيا حماره، وحدث مثل ذلك مع أهل الكهف حين لبثوا ثلاثمائة عام في سبات عميق لم يتخلله يقظة أو شراب، فإن الله فعل مثل ذلك في أمة حبيبه محمد وذلك في شخص المهدى المنتظر وبذلك يثبت الدليل بالمنقول في القرآن، ويكون استدلال العلامة الصدر من باب تأييد المنقول بالمعقول وأعمق من ذلك أن الحياة - في نظر العلماء الكاملين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطبيعة - لا تنقضي - شرعا - بسبب أنتهاء مقاومة الجسم لعوامل الهدم الداخلية والخارجية، وإنما تنقضي بسبب إنقضاء الاجل نفسه وفي هذا السر الذى لا يدركه إلا الراسخون في العلم قال جد الائمة على بن أبى طالب: (إنما يحفظ المرأ أجله) ولم يقل صحنه أو ما فيه من عوامل البناء التى تقاوم عوامل الهدم وقبل أن أختم كلمتي لا أستطيع أن أكتم ثنائي على ماجاد به يراع السيد الصدر في الدفاع عن خارقة الامام المهدى ذلك الدفاع المنهجى العلمي الذى صاغه في الصورة العلمية التى تلائم روح الفكر المعاصر في الوقت الذى لم أكن أتصور فيه أن أحدا من علماء الاسلام سيحاول تصوير هذه الخوارق في الصورة العلمية التى عالجت فيها بنفسى منذ عشرين عاما معجزة الاسراء والمعراج في صورة علمية قريبة الشبه من هذا الاتجاه الذى سلكه هذا العالم الجليل ، فشجعني على ما حاولت بالامس القريب وكم للعلامة محمد باقر الصدر من أياد بيضاء على البحث العلمي [35].

إصلاح الحوزات العلمية:

كان دور الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الذي كان يفكر - دوما- في تطوير الحوزات العلمية بشتى مجالاته وخاصة في الفقه والأصول، فمن جملة ما قام به هو تأليف دورة اصولية متناسبة لمختلف مراحل دورة السطوح سميت بـ "دروس في علم الأصول"، كما وكتبت تقريرات أبحاثه الأصولية وطبعت في عدة مجلدات، ولكن لم يمهل لينفذ طموحاته التطويرية الاخرى[36]

وهنا لابد من أن ننبه على أن هناك الكثير ممن كان لهم دور في الفقه والأصول وكان بعضهم من المراجع الكبار لدى الشيعة، ولكن لم نتعرض لأسمائهم مخافة التطويل، تغمدهم الله - جميعا - برحمته الواسعة، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا، لما بذلوه من جهد كثير لا يدركه إلا من عاش معهم، وذاق مما طعموه من مر الحياة، ولكن لم يمنعهم ذلك من درك حلاوة العلم والإيمان، فبسعيهم المشكور وصل هذا العلم إلى ذروته، فلم يدانهم فيه أحد، وها هي الحوزات العلمية مفتوحة بمصراعيها أمام المحققين - من كافة المذاهب الإسلامية - لتؤدي خدمتها للإسلام وللأمة الإسلامية كلها.

يقوم الكافر "صدام التكريتي" مقام الاستعمار العالمي في القضاء على العلم والعلماء فقد فتت وهدم الحوزات العلمية في ألاماكن المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء المقدسة والكاظميين وسامراء فبعد أن كانت تعج بالآلاف المؤلفة من العلماء والمجتهدين والطلاب لم يبق فيها الا شرذمة قليلة بل ولم يبق في بعضها شئ من العلم والعلماء، فقد هجر الآلاف من العلماء وصادر أموالهم وأحرق كتبهم وسجن المئات منهم وأعدم العشرات من تلك الوجوه النيرة والبدور المشرقة والانجم الزاهرة ثم لم يكتف بذلك كله بل مد يده الاثيمة الكافرة بالتعاون والتواطي مع الدول الرجعية في المنطقة والدول الاستعمارية على قدسية سيدنا وأستاذنا الإمام العظيم والمرجع الشهير والفيلسوف الكبير والمفكر الإسلامي والفقيه النحرير سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

أستشهاده:

بعد اعتقاله في بيته ما يقرب من سنة وعزل الجماهير - المتعطشة إليه - عنه أخذ إلى بغداد وبعد تعذيبه هو وأخته العلوية العالمة بنت الهدى نالا درجة الشهادة الرفيعة على يد ألئم خلق الله وأقذر عميل للصهيونية والاستعمار العالمي "صدام التكريتي الكافر" الذى لم يؤمن بالله طرفة عين ولم يبق للإسلام حرمة إلا استباحها ولا عرض للمسلمين إلا هتكه، فعليك يا سيدى يا أبا جعفر سلام الله ورضوانه يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا، فأنت قد ذهبت واسترحت من كرب الدنيا وبلائها ونلت درجة الشهادة وختمت لك بالسعادة الأبدية ونحن نقاسى ونتحمل من الآلام والمصائب من قبل عملاء الإمبريالية والصهيونية.

الهوامش

(1) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 16 : 269 .
(2) إشارة إلى قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات / 13 .
(3) البقرة / 286 .
(4) إشارة إلى الاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الإسلام ورفع الظلم ونصرة المستضعفين كما في قوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . . .) التوبة / 24 .
(5) محمد باقر الصدر : فدك في التاريخ ص 47
(6) محمد باقر الصدر : فدك في التاريخ ص 47
(7) طرح مثل هذا الافتراض يعد منطقيا ومتسقا مع المنهج العلمي في صدد تقديم تفسير دقيق للمرحلة التاريخية .
(8) القضية مشهورة في سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .
(9) محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص 58
(10) السيد جعفر مرتضى: الصحيح من السيرة 6/ 96
(11) محمد حسين الأنصاري: الإمامة والحكومة ص 51
(12) السيد محمد باقر الصدر: نشأة التشيع والشيعة ص 7
(13) السيد محمد باقر الصدر: نشأة التشيع والشيعة ص 13
(14) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع / الدكتور كامل مصطفى الشيبي / ج / ص 11 - 14 ؛ إسلام بلا مذاهب / الدكتور مصطفى الشكعة / ص 153 ؛ النظريات السياسية الاسلامية / الدكتور ضياء الدين الريس / ص 69
(15) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص5
(16) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص13
(17) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص19
(18) إشارة إلى الحديث المشهور: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 1 : 64 طبعة دار الفكر، وصححه السيوطي في جمع الجوامع، وأخرجه الترمذي في صحيحة بلفظ آخر، وراجع: التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول (ص)
(19) إشارة إلى قوله (ص) (إن هذا - والأشارة إلى علي- أخي ووزيري وخليفتي فيكم...) راجع الرواية الكاملة في تاريخ الطبري 3: 218 - 219 طبعة المطبعة الحسينية بمصر، وراجع تفسير الخازن 3 : 371

(20) إشارة إلى الحديث المتواتر: (أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) يراجع: صحيح البخاري 5 : 81 باب 39 ، صحيح مسلم 4: 1873

(21) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص22

(22) محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص23

(23) المصدر نفسه ص 58

(24) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد 6: 47 - 49 وص 11 في احتجاج الأمام علي عليه السلام بالحجة البالغة، وص 17 - 18 في موقف أبي سفيان، تاريخ الطبري 2: 233 و 237

(25) إشارة إلى يوم الجمل المشهور، وكان أبطاله الزبير وطلحة وعائشة ام المؤمنين وذلك سنة 36 هـ ، وكان موقع المواجهة في البصرة. راجع: تاريخ الطبري 3 : 476 حوادث سنة 36 هـ

(26) أعلام النساء 4 : 124، تاريخ الطبري 3 : 353 ، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 6 : 41

(27) تاريخ ابن الأثير 3 : 111 ، تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي : 80 - 81

(28) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص29

(29) محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ص30-31

(30) الصواعق المحرقة : 38 .

(31) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 16 : 213 .

(32) فتوح البلدان : 44

(33) حامد حفني داود : نظرات في الكتب الخالدة ص 68

(34) حامد حفني داود : نظرات في الكتب الخالدة ص 71

(35) حامد حفني داود : نظرات في الكتب الخالدة ص 68

(36) محمد علي الأنصاري: الموسوعة الفقهية الميسرة 1/ 63